السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٩)

مَكْرٌ فِيْ دَارِ النَّدْوَةِ!!

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

أَهْلاً بِالمُهَاجِرِيْنَ فِي المَدِيْنَةِ

وَهَكَذا يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ رَاحَ المُسْلِمُونَ يَتَوَافَدُونَ إلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، مِنْهُمْ مَنْ كانَ يُهَاجِرُ وَحْدَهُ سِرَّاً ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ مَعَهُ الزَّوْجَةَ وَالأَوْلادَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَتَعاهَدُ علىٰ السَّفَر مَعَ أَصْدِقَائِهِ.. ، وَهَكَذا .

لَـٰكِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ هُوَ الرَّجُلُ الوَحِيْدُ الَّذِي هَاجَرَ عَلَناً!

رَوَىٰ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ أَنَّهُ لمَّا هَمَّ عُمَرُ بِالهِجْرَةِ ، تَقَلَّد سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَانْتَضىٰ

في يَدِهِ أَسْهُماً ، وَحَمَلَ عَصَاهُ ، وَمَضَىٰ نَحْو الْكَعْبَةِ .

وَبَيْنَما كِبَارُ قُرَيْشٍ يجلِسُون في البَيْتِ الحَرَامِ ؛ إِذْ دَخَلَ عُمَرُ فَطَافَ في البَيْتِ سَبْعاً مُتَمَكِّناً مُطْمَئِنّاً ، ثُمَّ أتىٰ المَقَامَ فَصَلَّىٰ ، ثُمَّ نَظَر إلى زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، وَقَالَ : شَاهَتِ الوُجُوه ، لا يُرْغِمُ الله إلا هَـٰذِهِ المَعَاطِسَ .

مَنْ أَرَادَ أَنْ يُثْكِلَ أُمَّهُ ، أَوْ يُوتِمَ ـ أي : يَجْعَله يتيماً ـ وَلَدَهُ ، أَوْ يُرْمِلَ زَوْجَتَه ؛ فَلْيَلْقِنِي وَرَاءَ هَذَا الوَادِيْ!!

قَالَ عَلِيٌّ : فَمَا اتَّبَعَهُ مِنَ المُشْرِكِيْنَ أَحَدٌ .

وَفِي المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ كَانَ الأَنْصَارُ كُرَمَاءَ مَعَ المُهَاجِرِيْنَ إلى حَدٍّ عَجِيْبٍ .

فَقَد فَتَحُوا بُيُوتَهُم ، وَقَسَمُوا بساتِينَهُم ،

وَقَدَّمُوا كُلَّ مَا يَمْلِكُونَ لأَخْوَتِهِمْ المُهَاجِرِيْنَ ، وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَسْمَعُونَ في كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ :

أَهْلاً بِكُمْ في بَلَدِكُمُ الثَّانِي ، أَنْتُم ضُيُوفنا ، وَإِخْوَانُنَا ، حَلَلْتُمْ أَهْلاً ، وَنَزَلْتُمْ سَهْلاً .

* * *

obeikandl.com

لَـكِنْ : مَتَىٰ سَيُهَاجِرُ المُصْطَفَىٰ ﷺ ؟

وَمَا هِيَ إلا عِدَّةُ أَيَّامٍ حَتَّىٰ خَلَتْ كَثِيْرٌ مِنْ بُيُوتَاتِ مَكَّةَ ، حَيْثُ تَرَكَها المُهَاجِرُوْنَ وانْطَلَقُوا إلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَلَمْ يَبْقَ في مَكَّةَ إلا الرَّسُولُ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ ، وأَبُو بَكْر الصِّدِّيق ، وَعَليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَبَعْض العَبِيْدِ الَّذِيْنَ مَنَعَهُم سَادَاتُهُم مِنَ الهِجْرَةِ .

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضي الله عَنْهُ يُلِحُّ على الرَّسُولِ لِكَيْ يَأْذَنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ ، وكَانَ الرَّسُولُ

يَقُولُ لَهُ : « عَلَىٰ رِسْلِكَ ، لاَ تَعْجَلْ! لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُ لَكَ صَاحِباً » .

فَفَهِمَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَرْغَبُ في أَنْ يَكُوْنَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَهُ في الهِجْرَةِ ، لِذَلِكَ اشْتَرىٰ رَاحِلَتَيْنِ ، وَرَاحَ يَعْلِفُهُمَا وَيُجهِّزُهُمَا مِنْ أَجْلِ الرِّحْلَةِ .

* * *

obeikandl.com

مَكْرٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ!!

وَلمَّا رَأتْ قُرَيْشٌ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ قَدْ تَرَكُوا مَكَّةَ ، وَقَدْ أَخَذُوا مَعَهُمُ الزَّوْجَاتِ وَالأَوْلادِ ؛ أَيْقَنُوا : أَنَّ المَدِيْنَةَ المُنَوَّرَة سَتُصْبِحُ عَاصِمَةَ الإِسْلامِ وَالمُسْلِمِيْنَ ، وَسَيَكُونُ لِلرَّسُولِ وَمَنْ مَعَهُ قُوَّةٌ تُهَدِّدُ كِيَانَ قُرَيْشٍ!

فَتَداعَىٰ الزُّعَمَاءُ ، وَالأَكَابِرُ إِلَىٰ اجْتِمَاعٍ طَارِىءٍ في دَارِ النَّدْوَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ الَّذِيْنَ حَضَرُوا الاجْتِمَاعَ : أَبُو جَهْلٍ ، والحَكَمُ بْنُ أبي العَاص ، والنَّضْرُ بْنُ الحارث ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبي مُعَيْطٍ ، وأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ ، وأَبُو لَهَبٍ ، وَغَيْرُهُم ،

وَهُمُ الَّذِيْنَ أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ مُصْطَلَحاً يَنْطَبِقَ عليهم تماماً ، وَذَلِكَ قوله تعالىٰ : ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[1] .

وَرَاحَ كُلُّ وَاحدٍ مِنْ أَئِمَّة الكُفْرِ يُبْدِي رَأْياً ، وَيَقْتَرِحُ اقْتِرَاحاً لِذَلِكَ ، فَقَالَ أَحَدُهُم : احْبِسُوا مُحَمَّداً في الحَدِيْدِ ، وأَغْلِقُوا عَلَيْهِ البَابَ ، ثُمَّ تربَّصُوا بِهِ مَا أَصَابَ أَشْبَاهَهُ مِنَ الشُّعَراءِ الَّذِيْنَ كَانُوا قَبْلَه ، زُهَيْرٍ ، والنَّابِغَةِ ، ومَنْ مَضَىٰ مِنْهُمْ مِنْ هَذَا المَوْتِ ، حتَّىٰ يُصِيبهُ مَا أَصَابَهُمْ!

وَقَالَ آخر : بَلْ نُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَنَنْفِيَهُ مِنَ بِلادِنا ، فَإِذا أُخْرِجَ عنَّا فَوَالله مَا نُبَالِي أَيْنَ ذَهَبَ ، وَلا حَيْثُ وَقَعَ إِذَا غَابَ عَنَّا ، وَفَزِعْنَا مِنْهُ فَأَصْلَحْنَا أَمْرَنَا وَأُلْفَتَنا كَمَا كَانَتْ!

---

(١) سورة التوبة : ١٢ .

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ ـ وَقَد انْتَقَدَ كُلَّ الآراءِ السَّابِقَةِ ـ : أَرىٰ أَنْ نَأْخُذَ مِنْ كُل قَبِيْلَةٍ شَابّاً فَتىً جَلْدَاً نَسِيْباً وَسِيْطَاً فِيْنَا ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فتىً مِنْهُم سَيْفَاً صَارِماً ، ثُمَّ يَعْمِدُوا إِلَيْهِ فَيَضْرِبُوهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُوهُ فَنَسْتَرِيحُ مِنْهُ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ في القَبَائِلِ جَمِيْعاً ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلىٰ حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيْعاً!!

لَـٰكِنْ مَا فَائِدَةُ ذَلِكَ المَكْرُ يَا صنادِيْدَ قُرَيْشٍ ؟ لَقَدْ قَالَ الله سُبْحَانَهُ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .

الإذْنُ الإلـهِيُّ لِلْمَعْصُومِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ

وَجَاء الإذْنُ الإلـهِيُّ لِلرَّسُولِ صَلواتُ الله وَسَلامُه عَلَيْهِ بِالهِجْرَةِ إلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَة ، فَتَلا قَوْلَهُ تَعَالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾[1] .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ هَمَسَ المُصْطفىٰ ﷺ في أُذُنِ أَبي بَكْرٍ قائلاً : « إنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِي في الخُرُوجِ وَالهِجْرَةِ » .

---

(١) سورة الإسراء : ٨٠ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ الله!

فَقَال عليه الصَّلاة والسَّلام : « الصُّحْبَة » .

فَبَكىٰ أَبُو بَكْرٍ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ الله! إِنَّ هَاتَيْنِ رَاحِلَتَانِ قَدْ كُنْتُ أَعْدَدْتُهُمَا لِهَذا .

* * *

obeikandl.com

لا تَبِتْ عَلَىٰ فِرَاشِكَ يَا مُحَمَّدُ!!

وَلَمَّا كَانَ مَوْعِدُ تَنْفِيْذِ المُؤَامَرَةِ ، هَبَطَ الأَمِيْنُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَال : لا تَبِتْ هَذِه اللَّيْلَةَ علىٰ فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تِبيْتُ عَلَيْهِ .

فَنَادىٰ رَسُولُ الله عَلِيًّاً رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَقَالَ لَهُ : « نَمْ عَلىٰ فِراشِي وَتَسَجَّ بِبُرْدِي هَذَا الأَخْضَرِ ، فَنَمْ فِيْهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ ما تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ » .

وَبِالْفِعْلِ ، نَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ عَلىٰ فِرَاشِ

رَسُوْلِ الله ، وَبَاتُوا وَهُمْ يَنْتَظِرون خَارِجَ البَيْت ، وَقَدْ طَوَّقُوه بِالشَّبَابِ .

وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مِنَ البَابِ ، فَأَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تُرَابٍ في يَدِهِ ، ثُمَّ رَاحَ يَنْثُرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، فَأَخَذَ الله تَعَالىٰ عَلَىٰ أَبْصَارِهِم عنْهُ فَلا يَرَوْنَهُ ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَه تعالى : ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] .

---

(١) سورة يس : ١ـ٩ .

فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُم أَحَدٌ ـ بِإذْنِ اللهِ تَعَالىٰ ـ إلا وَقَدْ وَضَعَ عَلَىٰ رَأْسِهِ تُرَاباً!

وَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مِنَ البَابِ دُوْنَ أَنْ يَرَوْهُ ، وَبَعْدَ سَاعَاتٍ مِنْ ذَلِكَ أَتَاهُمْ آتٍ فَقَالَ لَهُمْ : مَا تَنْتَظِرُونَ هاهنا ؟! قَالُوا : مُحَمَّداً .

قَالَ : خَيَّبَكُم الله ، لَقَدْ خَرَجَ وَتَرَكَ عَلَىٰ رأسِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُم التُّرَابَ ، فَوَضَع كُلُّ رَجُلٍ مِنْهمْ يَدَهُ عَلَىٰ رَأسِهِ فَإذا عَلَيْهِ تُرَابٌ ، ثُمَّ دَقَّقوا النَّظَر فَأَيْقَنُوا : أَنَّ ذَاكَ النَّائِمَ على الفِرَاشِ لَيْسَ رَسُولَ اللهِ ، إنَّمَا هُوَ عَلِيٌّ مُتَسَجِّياً بِبُرْدِ رَسُولِ الله ﷺ .

وَهَذَا يَا أَحِبَّتي البَرَاعِمَ يُذكِّرُنا بِقَوْل الشَّاعِرِ :

وَإذا العِنَايَةُ لاَحَظَتْكَ عُيُونُهَا

نَـمْ فَـالْمَخَـاوِفُ كُلُّهُـنَّ أَمَـانُ

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *

obeikandl.com